الدرس 4 : اتجاهات الرواية العربية / الرواية النفسية .

" إن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس ،
النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب،
والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جو انب النفس...."
عزالدين إسماعيل

إن الرواية العربية قد استطاعت أن تتقبل مختلف الأبنية والأنساق الجمالية وقد وفقت في اختراق عالم الحداثة خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطويع لغتها وخاصة السردية منها. و**من** اتجاهات الرواية العربية الحديثة الاتجاه النفسي، و قد تسمّي في الرواية العربية بتيار الوعي أو قصة الحوار الفردي الصامت أو القصة التحليلية. وهو يتميز بتركيز الاهتمام علي بطل أساسي بدلاً من توزيعه علي عدة أشخاص. والشخصية التي يرتكز عليها الكاتب ليست إلا ستارا يشرح الكاتب من خلاله أفكاره الخاصة وعواطفه، حتي البطل في هذه الرواية يعد صورة عن المؤلف.

1/ في مفهوم القصة النفسية:

القصة النفسية طور حديث من أطوار القصة ولكنها بلا شك ليست وليدة القرن العشرين ، ويمكننا ببساطة أن نقسمها قسمين بارزين ، هما القصة قبل (فرويد)، والقصة بعده .

أ/القصة النفسية قبل فرويد:

هي القصة التي حاول مؤلفها أن يتغلغل في أغوار النفس البشرية من خلال الملاحظة الدقيقة لسلوك الشخص وتصرفه إزاء الأحداث وأن يفسر هذا السلوك وهذا التصرف من خلال معرفته بالأحوال العقلية والنفسية لهذا الشخص ، فهو يصنع في الحقيقة دائرة تبدأ من الشخص لتعود إليه ، وفي خلال هذه العملية يستكشف الكاتب من الحقائق دائرة تبدأ من الشخص لتعود

آخر الأمر إليه وفي خلال هذه العملية يتكشف الكاتب من الحقائق ما له طبيعة إنسانية عامة من خلال فهمه لطبيعة الأفراد الخاصة. غير ان معرفة الكاتب ببعض حقائق علم النفس ليست هي السبب في كتابته القصة ، أي أنه لم يكتب تلك القصة لكي يصوغ تلك الحقائق في أسلوب جديد

ب/ القصة النفسية بعد فرويد:

القرن العشرون هو قرن علم النفس فيه استقل عن الفلسفة و صار له كيان مستقل ، وتأسس علم النفس التحليلي على يد فرويد وتلامذته وقد توصل علم النفس التحليلي إلى الكشف عن الدوافع العميقة للسلوك في أغوار النفس.

وقد وجد كتاب القصة في القرن العشرين كثيرا من الحقائق التي استكشفها هؤلاء العلماء متاحة لهم ، ولما كانت مشكلتهم الكبرى هي كذلك فهم الحياة والإنسان فقد وجدوا في تلك الحقائق المستكشفة ضالتهم وراحوا ينسجون تلك الحقائق في قصصهم .

2/الرواية النفسية (الكتابة والخصائص):

كان الاتجاه إلى كتابة الرواية النفسية بمثابة ثورة عارمة علي الرواية التقليدية، و قد بدأ في الأدب الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وامتدت إلي النصف الأول علي يد «ما رسل بروست (البحث عن الزمن الضائع)»، و « جيمس جويس (أوليس)». و بهذا التيار ظهرت بلبلة في عالم الرواية، إذ قبل ذلك كان الطابع الأساسي للرواية هو تسلسل الأحداث، و تفاعل البطل مع هذه الأحداث، لكن بظهور هذا التيار تغير الأسلوب، و أصبح اكتشاف العقل والباطن الخفي مثار الاهتمام، لأنه المحرك الأساسي للفكر والسلوك.

و من خصائص هذا الاتجاه :

ا/ المونولوج الداخلي المباشر، و فيه يغيب المؤلف، و يتم الحديث فيه بضمير المفرد و الغائب.

ب/ المونولوج الداخلي غير المباشر، و فيه يحضر المؤلف عبر الوصف و التعليق، و يقوم الحكي فيه بضمير المتكلم.

ج/ وصف الوعي الذهي للشخصيات.

د/ مناجاة النفس.

هـ/ التداعي الحر من طريق الخيال و الحواس.

و/ المونتاج السينمائي عن طريق تعدد الصور و تواليها.

ينقسم كتاب الرواية النفسية إلى مجموعتين ، مجموعة تتسم بالأصالة والمقدرة الفنية أمثال جيمس جويس ، وفرجينيا وولف ، وألدوس هكسلي، ولورنس...أولئك الذين استغلوا الحقائق النفسية المستكشفة لعلماء التحليل النفسي استغلالا فنيا . وكانت قصصهم بمثابة تجارب يكمل بعضها بعضا وينبني لاحقا على سابقها ..."

وأولئك الذين أرادوا تقليدهم ولكنهم كانت تنقصهم المقدرة الفنية الفذة التي كانت لأساتذتهم فكانت قصصهم مجرد تقرير أو صياغة للحقائق النفسية المتداول

وأما في الأدب العربي فقد تأثّر روائيون كثيرون في فترة الستينات والسبعينات بهذا التيار الذي أدى إلي توظيف التعبيرات الرمزية في أعمالهم؛ منهم نجيب محفوظ(السراب)، حيدر حيدر (الزمن الموحش)، هاني الراهب (ألف ليلة و ليلتان)، وغادة السمان.....

3/مراجع الدرس :

* بلحيا الطاهر : الرواية العربية الجديدة (من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة).

*عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب .